

التجارة الأوروبية - الآسيوية من سلعتي السكر والشاي

في القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادياً

الدكتور عبدالرزاق محمود المعاني

جامعة الحسين بن طلال

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على التجارة الأوروبية-الآسيوية من سلعتي السكر والشاي خلال القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ميلادياً؛ لما شهدته هذه الفترة من تطورات بارزة في مجال التجارة العالمية عموماً، وفي مجال التجارة الأوروبية - الآسيوية على وجه الخصوص.

وكما هو معلوم فإنّ تجارة التوابل مع الشرق كانت من أعظم العوامل الدافعة للوجود الأوروبي في الشرق، حيث كان هدفهم المباشر هو الحصول على السلع الشرقية وخاصة التوابل؛ وذلك لتلبية الطلب المتزايد على هذه السلع في أوروبا.

وإضافة إلى ما سبق فقد كانت هناك تطورات في طبيعة الطلب على السلع التجارية، كارتفاع استهلاك بعض السلع التي لم تكن لها أهمية كبيرة من قبل؛ فارتفاع مستوى المعيشة في أوروبا أدى إلى زيادة استهلاك السكر في تلك القارة، كما أنّ سلعاً آسيوية مثل الشاي والقهوة لم تكن تعرفها أوروبا من قبل دخلت ميدان التجارة الأوروبية، وصارت لها أهمية كبيرة في القرن الثامن عشر ميلادياً.

الكلمات المفتاحية: تجارة، أوروبا، شركة الهند الشرقية الإنجليزية... الهولندية، آسيا، السكر، الشاي.

The Euro-Asian Trade of Sugar and Tea During the Seventeenth and Eighteenth Centuries

Abstract

The study aims to shed light on the Euro-Asian trade of sugar and tea during the seventeenth and eighteenth centuries due to the significant developments witnessed during the present period in the field of global trade in general, and in the field of Euro-Asian trade in particular. As it is known, the spice trade with the East was one of the most important factors for the European presence in the East, whose direct goal was to obtain oriental goods, especially spices, in order to meet the increasing demand for these goods in Europe. In addition, there have been developments in the nature of demand for commercial goods such as the high consumption of some commodities that were not of great importance before. The rising standard of living in Europe led to an increase in sugar consumption on that continent. Also, some Asian commodities such as tea and coffee that were not known to Europe before entered the field of European trade and became of great importance in the eighteenth century.

Keywords: Trade, Europe, English East India Company,...Dutch Asia, Sugar, Tea

1. المقدمة:

تعد تجارة التوابل والفلفل بأنواعه من أهم السلع التجارية التي أسهمت في تأسيس شركات كبيرة، منها: شركة الهند الشرقية الإنجليزية 1600م، وشركات الهند الشرقية الهولندية 1602م، للسيطرة على التجارة العالمية، ومنحت الحكومتان الإنجليزية والهولندية امتيازات كبيرة فيما يتعلق بالملاحة والتجارة في المحيط الهندي والخليج العربي وسواحل البحر الأحمر وسواحل شرق أفريقيا مع أوروبا، وفي هذا يقول بوكسر: "لقد تأسست شركة الهند الشرقية كشأن منافستها الإنجليزية للتجارة أساساً بالفلفل الأسود والتوابل. وظلت هاتان السلعتان تمثلان أقيم حمولاتها إلى أرض الوطن طوال النصف الأول من القرن السابع عشر. بيد أن الطلب الأوروبي على المنسوجات الهندية والسلع القطنية وكذلك الحرير الصيني والبنغالي والفارسي أدى إلى رواج هذه السلع على الفلفل الأسود والتوابل، شراءً وبيعاً ابتداءً من مطلع القرن السابع عشر" (بوكسر، 1994، ص 277).

وقد أعطى بوكسر التوابل والفلفل أولوية في مجال السلع التي جرى الطلب عليها منذ بداية القرن السابع عشر، إلا أنّ شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وعندما وجدت أنّ المنافسة قوية على هاتين السلعتين في أرخبيل الملايو، انسحبت إلى مناطق أخرى من الهند وبلاد فارس، وقامت بإنشاء الوكالات في هاتين المنطقتين، وفي مناطق أخرى من الخليج العربي بخاصة البصرة. (أمين، التفوق البحري، ص18).

وقد ورد في سجلات شركة الهند الشرقية الهولندية عن عدد السفن التي وصلت ميناء بندر عباس في موسم عام 1639/1638 أنه "جاءت اثنتان منها مباشرة من بتافيا مع حمولة من التوابل، الفلفل بشكل خاص، وبلغت حمولة أخرى من شرق آسيا، وجاءت سفينة أخرى من ساحل الملبار بحمولة من الفلفل قيمتها 28.607 فلورين (كلدر هولندي)، وتواردت سفن أخرى كثيرة إلى ميناء بندر عباس تحمل البضائع نفسها. (أمين، 1987، ص59) (Steensgaard, 1974)

تفوق الهولنديون على منافسيهم الإنجليز في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وأصبح القرن السابع عشر الميلادي هو قرن هولندا الذهبي الاستعماري والتجاري (عثمان، 2021، ص277)، وهذا ما يمكن أن نستنتجه مما قاله (تافرنبيه) عام 1652م: "ويجلب الهولنديون إلى البصرة التوابل كل سنة، ويحمل إليها الإنجليز الفلفل وشيئاً من القرنفل، أما البرتغال فلا تجارة لهم معها". (تافرنبيه، 1994، ص98).

وشهد النصف الثاني من القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ميلادياً تطورات مهمة في مجال التجارة العالمية عموماً، وفي مجال التجارة الأوروبية - الآسيوية على وجه الخصوص؛ فقد انتقل تدريجياً اهتمام الأوروبيين من أرخبيل الملايو وتوابله النفيسة ومن إيران وحريها إلى الهند والصين، ونجح الأوروبيون في إنتاج التوابل النفيسة (جوزة الطيب وقشرة جوزة الطيب والقرنفل والقرفة والفلفل) في مناطق جديدة، حيث طوّرت الإنجليز والفرنسيون والهولنديون وغيرهم من الأوروبيين إنتاج بعض التوابل النفيسة في الهند وفي جزر الهند الغربية، كما نجح الإنجليز في تطوير إنتاج الحرير في البنغال أيضاً.

وإضافة إلى ما سبق، فقد كانت هناك تطورات أخرى في طبيعة السلع التجارية، وتمثل ذلك في ارتفاع استهلاك بعض السلع التي لم تكن لها أهمية كبيرة من قبل؛ فارتفع مستوى المعيشة في أوروبا أدى إلى زيادة استهلاك السكر في

تلك القارة، كما أنّ سلعاً آسيوية مثل الشاي والقهوة وغيرهما من السلع لم تكن تعرفها أوروبا من قبل استطاعت أن تدخل ميدان التجارة الأوروبية، وصارت لها أهمية كبيرة في القرن الثامن عشر الميلادي.

أفاد هذا البحث من عدد من الوثائق والمصنفات العربية والأجنبية التي تناولت منطقة الخليج العربي، وتحدثت عن نشاطها التجاري خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادياً، وكانت الوثائق من أهم المصادر التي تم الرجوع إليها في إعداد هذا البحث، ومن أبرزها الوثائق الإنجليزية التي نشرها وليم فوستر William Foster بعنوان: The English Factories in India 1618-1668، حيث تتألف هذه المجموعة من ثلاثة عشر جزءاً، مع مقدمة لكل جزء، ولهذه الوثائق فائدة كبيرة لدارس الخليج العربي خلال القرن السابع عشر الميلادي؛ لأنها لا تسلط الضوء على فعاليات الشركة الإنجليزية فحسب، وإنما تركز أيضاً على بعض النشاطات العربية التي لا نجد لها ذكراً في المصادر المحلية العربية أو الفارسية، وقد أفدت من الأجزاء جميعها في الاطلاع على المراسلات التي كانت تدور حول النشاط التجاري الهولندي في الشرق والخليج العربي.

كما اعتمد البحث على وثائق البحرية البريطانية Great Britain, India Office, Marine Records. حيث يضم المجلد (891 وثيقة) من تلك الوثائق والعديد من التقارير المهمة حول تجارة الخليج، وهذه التقارير موجودة أيضاً في مختارات سلدانها: Selections From The State Papers, Bombay, Regarding the East Indian Company's Connection With a Summary of Events From 1600-1800، وهي أحد المصادر الوثائقية المهمة التي يمكن الاعتماد عليها في تتبع النشاطات التجارية الأوروبية خلال الفترة قيد الدراسة.

وتعدّ مؤلفات الرحالة الأوروبيين، الذين زاروا المنطقة في فترات مختلفة، مصادر قيّمة لا يستغني عنها الباحث، وبخاصة تلك المتعلقة بالقرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادياً؛ لأنهم عاصروا الأحداث، وكانوا شهود عيان لها خلال الفترة قيد الدراسة. ومن أبرز هؤلاء الرحالة:

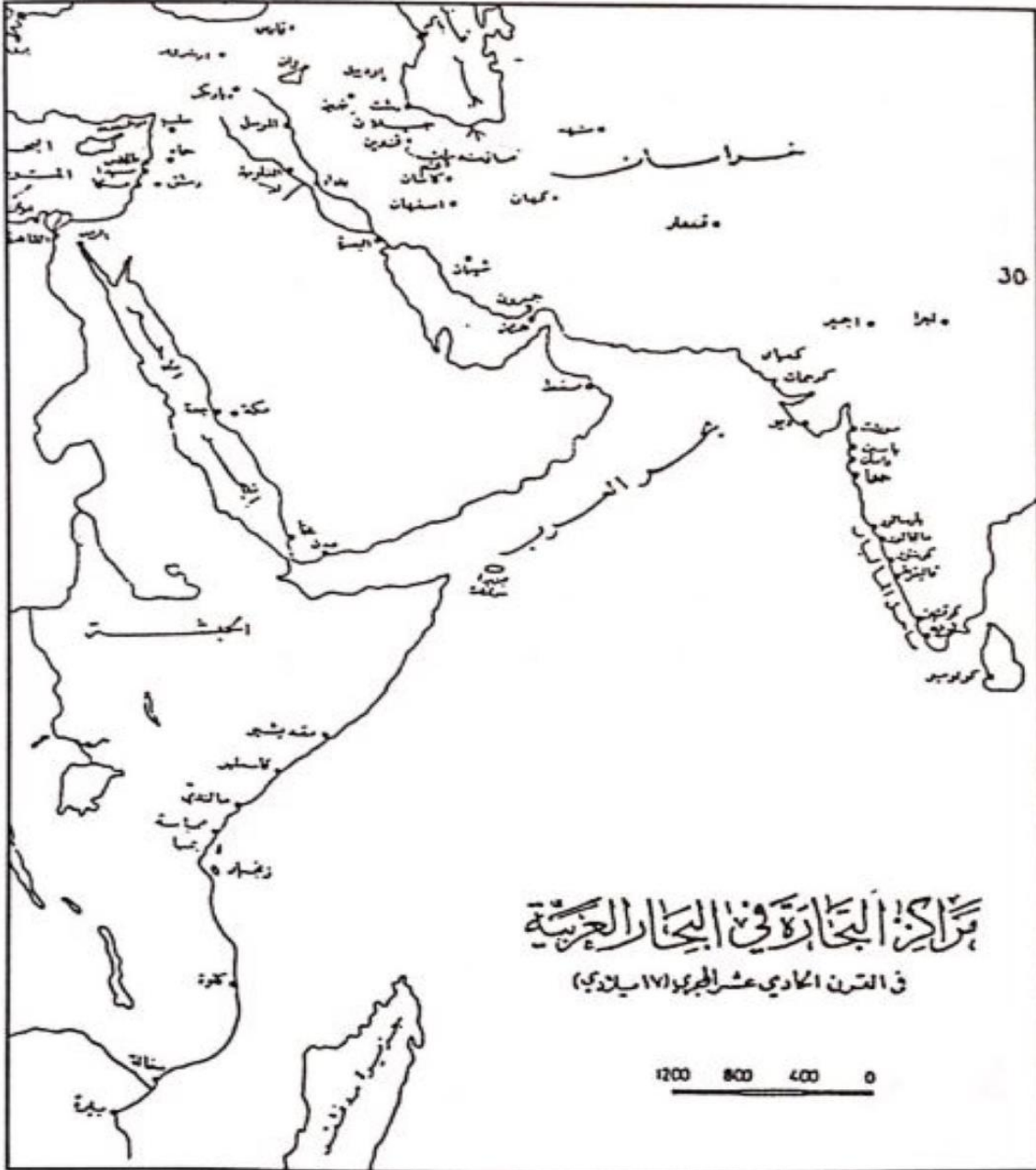
كارستين نيبور C.Niebuhr (1733-1815): وهو أحد أعضاء البعثة العلمية التي أرسلها ملك الدنمارك عام 1760م إلى الجزيرة العربية والأقطار المجاورة لها، كما أنه الأوروبي الوحيد من أفراد تلك البعثة الذي بقي حياً، وقد اختار -عند عودته من بومباي إلى أوروبا- طريق الخليج العربي، وبقي في منطقة الخليج من ديسمبر 1764م حتى يونيو

1765م، ويضمّ كتابه: "Travels Through Arabia and Other Countries in the East" معلومات قيمة عن سواحل الخليج العربي في القرن الثامن عشر الميلادي، الذي يُعدّ قرن الازدهار والتنافس التجاري الإنجليزي الهولندي في الخليج، وهي من أهم الرحلات في ذلك القرن.

رحلة تافرنيه (Tavernier)، التي ترجمها إلى اللغة العربية يعقوب سركييس بعنوان: (العراق في القرن السابع عشر)، حيث إنّ لها أهمية خاصة؛ لأنّ ما تُرجم منها لا يخص العراق فقط، وإنما يتطرق لبلاد فارس، ولهذه الرحلة فوائد كبيرة فيما يتعلق بالسلع التجارية وعلاقات الدول الأوروبية بالمنطقة.

كما استفاد البحث أيضاً من المراجع العربية والأجنبية، التي تضمّنت معلومات قيمة مما له علاقة بموضوع التطورات التي حدثت في ميدان التجارة والسلع المتبادلة؛ فكان كتاب الدكتور عبد الأمير محمد أمين (نشاط الأوروبيين التجاري في آسيا) خير معين لي في هذا البحث؛ إذ إنّه رغم تركيزه على نشاط الأوروبيين التجاري في آسيا، فقد تضمّن الكثير مما له علاقة بموضوع البحث، وبشكل خاص ذلك الجزء الذي يتناول السلع التجارية والتنافس التجاري الأوروبي في الخليج.

وهناك دراسات أخرى أفاد منها الباحث لا تقل أهمية عن الكتاب السابق، منها كتاب: شودي "Chaudhuri" والمعنون بـ: "The Trading World Of Asia"، وغيرها من المصادر التي سُنّبت في متن البحث وفي قائمة المصادر والمراجع لاحقاً، وكانت كبيرة الفائدة، حيث أمّدت الباحث بمادة غزيرة، وأسهمت في توجيه خطواته.



المصدر: المعاني، التجارة والملاحة في القرن السابع عشر الميلادي، 2001، ص 134

2. مشتريات الأوروبيين من السكر والشاي:

أ- الإنجليز:

يعدّ السكر من السلع التجارية التي ازداد الطلب عليها في أوروبا منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر

الميلادي؛ ويعود السبب في ذلك إلى ارتفاع مستوى المعيشة لدى فئات كثيرة من المجتمع الأوروبي، بحيث أصبح السكر

سلعة ضرورية بالنسبة لتلك الفئات، لا يمكن الاستغناء عنه، خاصة بعد أن كان سلعة كمالية لا يتمتع بها سوى قلة من الناس، وارتفع الاستهلاك في إنجلترا وحدها إلى ستة أضعاف خلال الفترة 1700م-1760م (أمين، 1987، ص29).

وثمة كثير من المصادر أشارت إلى أنّ شرب القهوة والكاكاو مع السكر من العادات الرائجة بين الأغنياء منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي، وكان من يتاجر بالسكر يحقق أرباحاً هائلة؛ لذلك أطلقوا عليه "الذهب الأبيض"، وبحلول القرن الثامن عشر الميلادي كان السكر السلعة الدولية الأكثر تداولاً، وشكّل ثلث مجموع الاقتصاد الأوروبي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تجارة الرقيق كانت مصدراً رئيسياً للثروة في الإمبراطورية البريطانية، حيث كان العبيد يُسخرّون للعمل في تجارة السكر بجزر الهند الغربية (Aronson, Marina , 2010)، وعندما حاصر نابليون الأول قارة أوروبا، وأغلق طرق دخول السكر، بدأ الأوروبيون يبحثون عن مصادر جديدة له، واكتشف عالم ألماني يُدعى "مارغراف" إمكانية الحصول على المادة الحلوة المذاق الموجودة في البنجر الأبيض على شكل بلورات صغيرة، وأن هذه المادة يمكن أن تكون معادلاً للسكر.

وعرف الخليج العربي تجارة السكر والشاي في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، الذي اشتهرت فيه مناطق آسيا في كل من جاوة والبنغال والصين بإنتاجه، وعمل الهولنديون في الفترة المشار إليها على زيادة إنتاجه وتصديره إلى الأسواق الأوروبية والآسيوية، على أنّ الإشارات الأولى لاستخدام هذه المادة في أسواق الخليج العربي إنما تعود إلى ثلاثينات القرن السابع عشر الميلادي؛ ففي عام 1635م تقدّم وكيل شركة الهند الشرقية في بندر عباس إلى رؤسائه بأن تكون مادة السكر الأبيض المسحوق والسكر غير المسحوق من بين المواد التي ترسل إلى أسواق الخليج العربي، ومن متابعة السلع الواردة إلى المنطقة نجد أنّ السفن التي وصلت بندر عباس قد حملت مادة السكر في السنوات 1638م-1639م. (أمين، 1987، 1654-1651، Foster, The English Factories.,)

وصدّرت هولندا كميات من السكر إلى أوروبا، ولكنّ هذه السلعة لقيت منافسة كبيرة جداً وفعالة من جزر الهند الغربية، الأمر الذي جعل الهولنديون يعتمدون على الأسواق الآسيوية، وخاصة إيران واليابان، في تصريف هذه السلعة، واعتمد الإنجليز وبقية الأوروبيين على السكر المستورد من جزر الهند الغربية، وقد صار لتلك الجزر المنتجة للسكر أهمية سياسية واقتصادية كبيرتين، ومثال ذلك عندما عقدت معاهدة باريس عام 1763م رأى بعض الإنجليز أنّ الاحتفاظ بجزيرة

"كودلوب Guadeloup"، وهي إحدى الجزر الصغيرة المنتجة للسكر، أكثر أهمية لإنجلترا من الاحتفاظ بكندا كلها. (أمين، 1987، ص30).

واحتل الشاي مكانة مرموقة بين السلع التجارية في القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادياً؛ فقد وصلت أول كمية من الشاي إلى إنجلترا عام 1664م، وكانت كمية محدودة لم تزد كثيراً على ليبرتين ابتاعتهما شركة الهند الشرقية لتقديمهما هدية إلى الملك شارل الثاني (woodruff, 1966, PP. 265)، ومنذ ذلك التاريخ زاد اهتمام الشركة بالشاي، بعد أن أصبح سلعة معروفة ومادة ثمينة تقدم لذوي النفوذ بوصفها هدية عالية

وفي شباط من عام 1665م طلب مدير الشركة من مستخدميهم في الهند إرسال خمس أو ست علب من الشاي "على أن تكون من أفخر الأصناف وأكثرها طراوة، هذه المادة التي من خواصها تلوين الماء الذي توضع فيه" (Chaudhur, 1976, PP. 386).

وكانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية قد سبقت الشركات الأوروبية الأخرى في تصدير الشاي الصيني إلى أوروبا؛ فقد كانت السفن الصينية الكبيرة تأتي سنوياً إلى باتافيا (إندونيسيا) حاملة معها الشاي في موسم معين، ومن هناك كانت الشركة الهولندية تتباعه وترسله إلى أوروبا. (أمين، 1987، ص 42).

وركزت الشركة الإنجليزية اهتمامها على تجارة الشاي منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وأخذت تطلب من مستخدميها في "مدراس" جمع أكبر كمية ممكنة من الشاي الصيني، ثم شجعت التجار الإنجليز الذين كانوا يتاجرون لحسابهم الخاص_ ومن ضمنهم مستخدميها في مدراس، الذين اعتادوا ارتياد الموانئ الصينية_ على تزويدها مما تحتاج إليه من هذه السلعة لسد حاجة السوق الأوروبية، وبهذه الوسائل وصلت إلى إنجلترا في عام 1690م أكبر كمية من الشاي، استوردتها الشركة حتى ذلك الوقت وكانت 38.290 ليبرة ، وكان تصدير تلك الكمية بداية مشجعة لتنظيم التجارة المباشرة بين الشركة والصين منذ أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أصبحت تُؤرَد إلى إنجلترا كميات هائلة من الشاي الصيني. (أمين، 1987، ص 43).

وقد أدى ازدياد مصالح الشركة الإنجليزية مع الصين والتوقعات من أرباح كبيرة ممكن أن تحققها من استيراد الشاي الصيني إلى دفعها لإعادة النظر في سياستها التجارية، وتمثل ذلك في محاولتها إقامة علاقات تجارية مباشرة مع

الصين، وجاءت تلك المحاولات في وقت ملائم وذلك لسببين؛ الأول: ازدياد الطلب على الشاي في أوروبا، والسبب الآخر: قرار الإمبراطور الصيني Kaing في عام 1685م بفتح الموانئ الصينية للتجارة الخارجية، وبين عامي 1676م و1698م أرسلت الشركة اثنتي عشرة رحلة مباشرة من إنجلترا إلى ميناء "أموي Amoy" الصيني (Chaudhuri, p388).

وشهدت العقود التالية زيادة هائلة في حجم تجارة الشركة مع الصين بشكل عام، وفي كميات الشاي المستوردة من قبل الشركة إلى إنجلترا بشكل خاص؛ فقد ازداد عدد السفن المسهّمة في تجارة الشركة مع الصين من 100 سفينة في عام 1717م إلى 150 سفينة في عام 1727م، وارتفعت حمولة تلك السفن خلال المدة الزمنية نفسها من 41000 طن إلى 62000 طن. (Furber, 1976, P. 127).

جدول رقم (1)

واردات الإنجليز من الشاي الصيني 1721م-1760م

السنة	الكمية بالليبرة ⁽¹⁾	نسبة الزيادة المئوية	القيمة بالإسترليني
30-1721	8879862	-	611441
40-1731	11663998	31	607469
50-1741	20214498	73	1052273
60-1751	37350002	85	1692698

* Chaudhuri, p3.

يوضح الجدول (رقم1) أعلاه الارتفاع في قيمة الاستيرادات الواردة إلى إنجلترا من الشاي الصيني من قبل الإنجليز، حيث سجلت الفترة من 1741م-1750م ارتفاعاً ملحوظاً مقارنة بالسنوات السابقة، وقفزت واردات الشركة من الشاي لتصل في الأربعينات من القرن الثامن عشر الميلادي إلى 20 مليوناً و215 ألف ليبرة سنوياً، وزادت خلال الفترة 1751م-1760م لتصل إلى 37 مليوناً و735 ألف ليبرة، وهذا ما قيمته 1.692.698 باون إسترليني (Chaudhuri, PP. 338).

(1) الليبرة أو (الباون) : الليبرة الهولندية تساوي 1,1 ليبرة انجليزية في حين أن الليبرة الانجليزية تعادل باوناً واحداً في الوقت الحاضر. ومما تجدر الإشارة إليه أن الحرير كان يباع في إنجلترا بوزن الباوند الكبير المؤلف من 24 أونصة (امين 11:1987، 11:1987، 415:1974). (Steensgaard 1974:415، 11:1987، 415:1974).

وخلال فترة التسعينات من القرن الثامن عشر الميلادي قفزت واردات الشركة من الشاي قفزة كبيرة، لتصل إلى ما بين 15 و20 مليون ليبرة سنوياً، وتعود هذه الزيادة بالدرجة الأولى إلى القانون الذي شرّعه البرلمان الإنجليزي في عام 1784م "Commutation" ، الذي خفضت بموجبه الضريبة على الشاي من 100% إلى 12.5% ، الأمر الذي أدى إلى زيادة هائلة في الاستهلاك، وأصدر البرلمان الإنجليزي وقتها قانوناً آخر ألزم من خلاله الشركة بتوفير كميات احتياطية من الشاي في مخازنها، تكفي الاستهلاك لمدة عام كامل، وتطّلبت كل تلك التشريعات زيادة في استيراد الشركة من الشاي، وتوجب عليها نتيجة لذلك توفير المال اللازم. (Greenberg, PP. 3-4).

وتُظهر هذه الأرقام التفوق والنجاح الكبيرين اللذين أحرزتهما الشركة الإنجليزية على نظرائها من شركات الهند الشرقية الأوروبية الأخرى مجتمعة في مجال التجارة مع الصين، وتحديدًا في فترة التسعينات؛ حيث حققت الشركة نسباً عالية من التجارة مع الصين، وحصلوا على أرباح وفيرة، يكفي أن نذكر منها أنّ واردات الشركة من السلع الصينية من ميناء واحد فقط هو "كانتون" كانت تعادل في التسعينات من القرن الثامن عشر الميلادي واردات الشركة كلّها من أنحاء آسيا الأخرى من البحر الأحمر والخليج العربي غرباً حتى بحر الصين شرقاً، وفي الوقت الذي كانت فيه أرباح الشركة من مبيعاتها للسلع الصينية 250.000 باون إسترليني في عام 1715م ارتفعت إلى 1.1000.000 باون إسترليني في عام 1727م وبلغت الأرباح 30000000 باون إسترليني خلال ثلاثة عقود 1713م-1743م (أمين، 1987، ص 44).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن توفير المال للتجارة مع الصين كان منذ البداية من المصاعب الأساسية التي واجهتها شركة الهند الشرقية الإنجليزية، فقد كان يتطلب منها لمواصلة تلك التجارة المربحة تصدير مقادير كبيرة من الفضة والذهب لا يتباع السلع الصينية، طالما كانت وارداتها من الصين تفوق صادراتها إليها، وقد عبّر عن متاعب الشركة هذه بعبارة "مشكلة تجارة الصين" "The Problem of China"، وحاولت الشركة معالجة المشكلة بزيادة صادراتها من الأقمشة الصوفية إلى الصين، بل باعت تلك الأقمشة بأرباح قليلة وبخسارة في أغلب الأحيان، ولكن مشكلة تجارة الصين كانت أكبر من أن تحلها صادراتها من الأقمشة الصوفية.

جاء حلّ هذه المشكلة عن طريق التجار والريابنة وأصحاب السفن الإنجليزية؛ فقد كان أولئك الإنجليز نشطين في مجال "تجارة الموانئ الآسيوية" بين موانئ الهند والصين خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، وحملوا

الأنسجة القطنية والقطن الخام والأفيون إلى موانئ الصين؛ ليجلبوا منها السلع الصينية، وكان الأفيون أكثر السلع ربحاً، والحقيقة أن الحكومة الصينية كانت تُحرّم تجارة الأفيون، ولكن محاولاتها لإيقافها باءت بالفشل. (أمين، 1987، ص 45).

عشر الميلادي؛ فقد استغلت الشركة ومستخدموها وغيرهم من الإنجليز الوضع الجديد، وسخّروا موارد البنغال لخدمة تجارتهم مع الصين، فكانوا يحملون سلع البنغال وخاصة الأفيون إلى الصين، ويأتون منها بالسلع الصينية، وكانت قيمة السلع المصدّرة للصين تفوق كثيراً قيمة السلع المورّدة منها، وكان لا بد أن يُسوَّى الفرق بدفع الصينيين النقود إلى التجار الإنجليز.

ومن باب تحويل تلك النقود إلى إنجلترا أو إلى الهند قام التجار الإنجليز بشراء "حولات" "Bill of Exchange"، كانت الشركة تعرضها عليهم في كانتون، وهي قابلة للصرف في الهند أو في إنجلترا، واستغلت الشركة تلك الأموال لشراء الشاي؛ ولهذا لم تعد بحاجة إلى استيراد الأموال من إنجلترا.

وبعد عام 1804م لم ترسل الشركة إلا قليلاً من المال إلى الصين، بل ربما لم ترسل منه شيئاً أبداً (أمين، 1987، ص 45)، كما فكّر المستثمرون الإنجليز بتوسيع المشاريع الاستثمارية في مملكة كاندي-سريلانكا - بزراعة الشاي بعد أن أصاب شجرة البن أمراض، فتحوّلت مزارع البن إلى شاي (عبد الوهاب، 2013).

ب- الهولنديون:

شهدت العقود التالية من القرن السابع عشر ميلادي تزايداً في النفوذ التجاري والسياسي والعسكري الهولندي في آسيا عامة وفي جزر أندونيسيا خصوصاً وجزيرة سيلان المنتج الرئيس للقرفة، وبذلك سيطروا على أنفس التوابل: القرنفل وجوزة الطيب وقشرة جوز الطيب والقرفة، وخلال القرن السابع عشر الميلادي كلّه كانت الشركة الهولندية فعّالة في مجال "تجارة الموانئ الآسيوية" في كل البحار والموانئ الواقعة إلى الغرب من رأس الرجاء الصالح من سواحل الصين واليابان شرقاً حتى ساحل البحر الأحمر والخليج العربي وشرق إفريقيا غرباً، حيث اشتهرت مناطق آسيا في كل من جاوة والبنغال والصين بإنتاجه.

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي كانت مادة السكر من بين المواد التي كان الهولنديون يفكرون في تصديرها إلى الموانئ العُمانية، وقد كتب أحد عملائهم تقريراً في هذا الصدد عام 1673م. (سلوت، 1993).

ومن اللافت للنظر أنّ ما أورته سجلات الشركة الهولندية من تفصيلات عدد السفن التي وردت ميناء بندر عباس وأسماؤها وشحناتها وتحركاتها يُلخّص وضع الشركة الهولندية التجاري في آسيا خلال الفترة قيد الدراسة، حيث تشير التقارير إلى أنّ موسم عام 1638م/1639م وصل الميناء ثمانى سفن للشركة (Steensgaard, 1974, PP. 411)، حيث جاءت اثنتان منهما مباشرة من باتافيا مع حمولة من التوابل والفلفل بشكل خاص وبلغت قيمة حمولة هاتين السفينتين 214.262 Florin (الكلدز الهولندي)، ورسّت سفينة أخرى من ساحل الملبار بحمولة من الفلفل قيمتها 28.607Florin⁽¹⁾، ووصلت أربع سفن من سورات بحمولة قيمتها 217.167 Florin، اثنتان منها سُحنتا في الهند، بينما توقفت السفن الأخرى في سورات في طريقيهما من تايوان، وحمولتهما من السكر بشكل رئيسي، وجاءت السفينة الثامنة من ميناء المخا، حيث توقفت هناك في طريقها من باتافيا إلى بندر عباس، وقد أفرغت جزءاً من حمولتها من السكر في المخ، وجاءت بالجزء المتبقي منه إلى بندر عباس، كما حصلت على البن من المخا.

ووصلت أيضاً تعليمات من المقر الهولندي في تايوان توصي بإرسال سفينة صغيرة تحمل الذهب الصيني إلى ساحل كورومانдал، على أن تأخذ من هنا حمولة من السكر البنغالي، لتأتي بها إلى الخليج العربي. (Steensgaard, PP.411)

كما عرف الشرق أيضاً، وينقل لنا الدكتور جون فراير Dr. John Frayer الذي زار بندر عباس في عام 1667م صورة أدق للثوق الهولندي على الإنجليز، كما يتطرق إلى الحجم الكبير للتجارة الهولندية في الخليج، ويقارن بينه وبين التجارة الإنجليزية قليلة الشأن، فقال: "وميناء بندر عباس يستقبل معظم السفن الذاهبة إلى البصرة والقادمة منها، إذ يجد التجار في بندر عباس كل ما يحتاجونه، ولكن أهم سلعة هنا بعد المنسوجات الهندية هي التوابل، والهولنديون يسيطرون على تجارة هذه المادة، كما يتحكمون في تجارة السكر والنحاس". (أمين، 1987، ص 60).

جدول رقم (2) يوضّح حجم مبيعات الشركة الهولندية في آسيا من سلعة السكر المسحوق والسكر غير مسحوق

(1) الفلورين: عملة هولندية عرفها الشرق، بما فيه منطقة الخليج العربي وهذاتها الكلدز (Guilder) الهولندي أو الفلورين (Florin) الذي يزن 10-11 غراماً من النحاس الخالص وذلك بعد عام 1601. ويقول بوكسر: "أما العملات المحلية، فقد كان يُجرى تحويلها طبقاً للأسعار السائدة للعملة والتي كانت تتباين تبايناً كبيراً" (بوكسر 1994:401).

جدول رقم (2)

اسم البلد	السكر المسحوق/ باون ⁽¹⁾ السكر غير المسحوق/ باون
اليابان	20.6036752.608.501
سورات	6.282.486 837.065
بلاد فارس	24.139.1834.542.722
مليار	217.40327.582

والجدول أعلاه رقم (2) يوضح حجم مبيعات الشركة الهولندية في آسيا من سلعة السكر المسحوق والسكر غير مسحوق ومن ضمنها بلاد فارس للفترة ما بين (1680م - 1701م) مقدره بالباون ومقارنة مع مبيعاتها في مناطق أخرى. (Glamann, 1958).

وتُظهر هذه الأرقام أن تجارة الهولنديين في آسيا، رغم كل ما أصابها من تقلبات، قد استمرت مزدهرة حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وبصورة عامة يمكن القول: إنَّ الهولنديين قد حافظوا على تجارتهم في بلاد فارس، وأبقوا على وكالتهم في أحسن حال.

وفي الوقت الذي استنقادت الشركة الإنجليزية من اتصالها المباشر مع الصين عن طريق ميناء كانتون فإن الشركة الهولندية أبتت على صلاتها التجارية غير المباشرة مع الصين عن طريق باتفيا، وعندما حاولت الشركة الهولندية في عام 1729م تغيير سياستها التجارية هذه مع الصين وأرادت إقامة علاقات مباشرة، وجدت الأوروبيين الآخرين من الإنجليز والفرنسيين والدنماركيين، قد رسخوا أقدامهم ووطئوها في ذلك الميدان.

شكّلت سلعة الشاي واحدة من بين السلع التي نقلتها السفن الهولندية إلى مناطق الخليج العربي، وبالذات إلى البصرة منذ عام 1656م (Foster, The English Factories ... 1618-1668). وسبقت الشركة الهولندية جميع شركات الهند الشرقية الأوروبية في تصدير الشاي الصيني إلى أوروبا، فقد كانت السفن الصينية الكبيرة "The Junks" تأتي سنوياً إلى باتفيا في موسم معيّن مُحمّلة بالسلع الصينية "China good" ومن ضمنها الشاي. (أمين، 1987، ص 42).

(1) الباون: هو الجنيه الاسترليني ويقال له أيضاً الباوند وهو العملة الإنجليزية المتداولة ويشار له اختصاراً بـ £.

وحتى العقود الأخيرة من القرن السابع عشر الميلادي لم تكن للشركة الإنجليزية علاقات تجارية مباشرة مع الصين، وعندما بدأت تجارتها بالشاي اعتمدت في ذلك على المصادر الهولندية في بداية الأمر، ثم شجعت التجار الإنجليز الذين كانوا يتاجرون لحسابهم الخاص ومن ضمنهم مستخدميها في مدراس والذين اعتادوا ارتياد الموانئ الصينية على تزويدها بما تحتاج إليه من هذه السلعة لسد حاجة السوق الأوروبية، وبهذه الوسائل وصلت إلى إنجلترا في عام 1690م أكبر كمية من الشاي استوردتها الشركة حتى ذلك الوقت، وكانت بقيمة 38,390 ليرة (أمين، 1987، ص 43).

بدأ التنافس بين شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الإنجليزية حول سلعة البن منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، واشتد هذا التنافس خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، الذي شهد نمواً هائلاً في تجارة الشاي والقهوة خاصة بعد أن أسهمت الشركتان في تغيير بعض العادات الاجتماعية في أوروبا، التي شجعت الأوروبيين على استهلاك الشاي والبن في صناعة مشروب جديد وهو القهوة، وهذا ما دفع بوكسر إلى القول: "أضحت هذه المنبهات (القهوة والشاي) أكثر أهمية من المنسوجات على اختلافها، بينما تزايد انخفاض القيمة النسبية لكل من الفلفل الأسود والتوابل". (بوكسر، 411 p).

وتشير المصادر إلى محاولة الهولنديين الهيمنة على تجارة الشاي الصيني خلال الفترة (1729م-1734م) عن طريق إنشاء خطوط بحرية مباشرة بين الأراضي المنخفضة وبين كانتون، غير أنّ هذه المحاولة باءت بالفشل، ولم تحقق الهدف المقصود منها، وبعد ذلك عادت الشركة الهولندية إلى أسلوبها القديم في شحن الشاي عبر باتافيا، غير أنهم ظلوا زمنياً طويلاً يحاولون اللحاق بالإنجليز. (بوكسر، 411 p).

3. العملات والأوزان المتداولة في البيع والشراء :

أ- العملات:

تعددت العملات التي استُخدمت في المعاملات التجارية المختلفة خلال الفترة قيد البحث، وقد اختلفت تلك العملات في أنواعها وأسعار صرفها وأوزانها، يقول فراير في هذا المجال: "كانت هناك أنواع مختلفة من النقود الذهبية يتعامل بها التجار في الغالب، وقسم منها له قيمة عالية، والقسم الآخر قيمته منخفضة، وكذا هو الشأن بالنسبة للعملة الفضية". (Furber, 1976, pp. 465).

وقبل التعرف على أهم هذه العملات التي كانت متداولة خلال فترة الدراسة، لا بد من القول: بأن هناك صعوبة بالغة بمعرفة قيمة تلك العملات على وجه الدقة، ومع ذلك سيحاول الباحث إعطاء فكرة عن تلك العملات والعلاقات فيما بينها.

لما كان البرتغاليون أول من وصل من الأوروبيين إلى الشرق، عرفت المنطقة عملاتهم التي كان "الريال Real" من أهمها؛ لأنه يمثل وحدة النقد الأساسية في البرتغال خلال القرن السادس عشر الميلادي. (Whiteway, pp.411).

ومن العملات البرتغالية أيضاً "الكروزادو Cruzado"، وهي عملة نقدية ذهبية اختفت من التداول في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، إلا أنها استمرت بوصفها وحدة حساب. (Steensgaard, pp.404).

كما شاع أيضاً "البياستر Piastre"، وهو عملة إسبانية ضربت في القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادياً، وكانت على درجة كبيرة من الثبات، وهي عملة فضية تحوي على 25.57 غرام من الفضة الخالصة (Steensgaard, pp.417).

وعند مقارنة العملة البرتغالية بالعملة الإسبانية يلاحظ أن "الكروزادو" الواحد يعادل 1.25 "بياستر". بينما في آسيا ، فإن نسبة التحويل يجب أن تؤخذ تبعاً لكل حالة منفردة. (Steensgaard, pp. 418).

كما عرف الشرق أيضاً، نقوداً أوروبية أخرى، مثل: "الكلدر (Guilder)" الهولندي أو الفلورين (Florin) الذي يزن 10-11 غراماً من النحاس الخالص، وكذلك "الكراون (Crown)" الإنجليزي، فقد ضرب ليساوي 27.527 غرام من الفضة الخالصة بعد عام 1604م، بينما كان يساوي 5.57 غرام من الفضة الخالصة بعد عام 1601م.

وإذا أردنا أن نقيم هذه العملات الإنجليزية والهولندية بالعملة الإسبانية فإن البياستر الواحد يعادل 2.5 كلدر هولندي و 4.5 شلن (Shelling) إنجليزي. (Steensgaard, pp.418).

وعرفت أسواق البصرة خاصة والخليج العربي وموانئ الهند عامة عملة تم التعامل بها كثيراً وهي "المحمودي"، وهذه العملة عثمانية منسوبة إلى السلطان محمد الفاتح، ولا علاقة لها بالمحمودي الفارسي الذي سبقت الإشارة إليه، وتختلف عن المحمودي الكجراني، الذي يحمل الاسم نفسه، وقد بلغ وزن المحمودي 4.7 غراماً تقريباً، وكل خمس قطع نقدية من هذه العملة تعادل روبيتين. (Steensgaard, pp. 418).

ومن العملات النقدية التي شاع استعمالها كثيراً في العراق ومنطقة الخليج العربي عامة "اللارينLarin"، وقد قدرها تافرنبيه في رحلته بتسعة سوات (Sou) فرنسية (تافرنبيه، 1994)، وهي مضروبة من النحاس أو النيكل، وصفتها المصادر الهولندية بأنها قطعة من العملة الفضية تساوي ستة أعشار الكلدر الهولندي. (سلوت، 1993، ص197).

أ- الأوزان والمكاييل:

استخدمت خلال البحث وحدات متنوعة للوزن، وكان تنوعها الشديد من ناحية، والخلط في الإشارة إليها من قبل الباحثين من ناحية أخرى سبباً للإرباك الذي يلاحظ على كثير من الدراسات التي تناولتها.

ومن الأوزان التي شاعت في الزمن قيد الدراسة (الرطل)، وهو وحدة الوزن التي استخدمها الإنجليز لوزن جميع السلع ما عدا الأدوية والمعادن الثمينة والأحجار الكريمة. (Steensgaard, pp. 415).

وثمة الرطل الهولندي، وهو رطل أمستردام، ووزنه 0.494 من الكيلوغرام، وكان يساوي عملياً 1.09 رطلاً إنجليزياً (بوكسر، 415 pp.).

كما شاع من الأوزان (المن)، وكانت هناك أنواع متعددة منه، فالمنّ الفارسي (أو الشاهي) يساوي 2 منّ تبريزي، ويساوي في الوقت نفسه 11.5 رطلاً هولندياً؛ أي 5.66 و 5.681 كغم على التوالي (Steensgaard, pp. 415).

كما أنّ المنّ البصري يختلف عن المنّ السوراتي؛ فالأول يساوي حوالي ثلاثة أرباع المنّ السوراتي الصغير (Foster, The English Factories..., 1651-1654)، هذا مع العلم بأنّ "المن" يزن 24 أوقية (Steensgaard, pp.415).

ومن الجدير بالذكر أنّ هناك أنواعاً مختلفة من المنّ؛ فمنّ الحبوب يختلف عن منّ الحرير، وهذه الأنواع كانت في تغيير مستمر مع مرور الزمن (سركيس، 415 p.).

وهناك ذكر أيضاً "اللقنطار (الكنتال Quintal)"، الذي يساوي 112 باونداً إنجليزياً و100 كغم فرنسي (Steensgaard, pp.415).

الخاتمة والنتائج:

ما يمكن استنتاجه فيما يتعلق بتجارة سلعتي السكر والشاي أنها تميزت بأمر هامة منها:

أولاً: أدى زيادة استهلاك الشاي إلى زيادة في استهلاك السكر، وهذا الأمر الأخير بحد ذاته ذو أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية الأوروبية، وعندما رغب بعض تجار الشاي عند منتصف القرن الثامن عشر الميلادي في تقدير كميات الشاي المستهلكة في إنكلترا لجأوا إلى معرفة ذلك من خلال دراسة مقدار الزيادة في استهلاك مادة السكر.

ثانياً: احتفظت تجارة الشاي بنشاطها واتساعها طيلة الفترة التي هي قيد الدراسة، وامتدت إلى فترات طويلة أخرى. في الوقت الذي أصاب الكساد، لسبب أو لآخر، تجارة سلع الحرير والتوابل والفلفل والأنسجة والقهوة. ثالثاً: حققت الشركة الإنجليزية تفوقاً واضحاً في تجارة سلعة الشاي، ولم تحقق الشركات الأوروبية الأخرى النجاح والتفوق ذاته في هذا المجال، مما كان له الأثر الواضح في الحياة الاقتصادية والسياسية في إنجلترا وفي مستوطناتها فيما وراء البحار.

رابعاً: عززت تجارة الشاي الصلة المباشرة والانفتاح على الصين وتطور العلاقات التجارية ثم السياسية مع هذا القطر الكبير، وقد كان لذلك أبعاد اقتصادية وسياسية كثيرة ونتائج هامة بالنسبة لأوروبا وللصين على حد سواء.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- أمين ، عبد الأمير محمد (1987)، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الأوروبي في آسيا 1600-1800، عمان. الجامعة الأردنية
- باننيكار،ك.م،(1962)، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، دار المعارف.
- بوكسر، ك. د.، إمبراطورية هولندا البحرية 1600-1800، ترجمة شوقي جلال، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1994.
- بيرين جاكين (1963)، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلججي، تقديم الشيخ حمد الجاسر، بيروت، دار الكتاب العربي.
- تافرنبيه، جون باتيست،(1944)، العراق في القرن السابع عشر، نقله إلى العربية وعلق حواشيه بشر فرنسيس ويعقوب سركيس، مطبعة المعارف، بغداد.
- الخطابي، أروى محمد (2004)، تجارة البن اليمني، (ق 17-19)، " دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ.
- زكي، أحمد، (1970)، البن والقهوة وشرايه، مجلة العربي، العدد 144، نوفمبر.
- سلوت، ب. ج. (1993)، عرب الخليج 1602-1784، ترجمة عايدة خوري، المجمع الثقافي في أبو ظبي، ط2.
- سلوت، ب، ج، الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية، لاهاي، وزارة الخارجية الهولندية. ضمن كتاب هولندا والعالم العربي.
- عبد الوهاب، خلود عبد اللطيف، والعبود، سفيان (2003)، التدخل الأوروبي في سيريلانكا 1505-1948، مجلة دراسات تاريخية، العدد ملحق.

- عثمان، عادل علي (2021)، الوجود الهولندي في البحر الأحمر 1602-1815، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، مج7.
- لوريمر، ج. ج.، (1967)، دليل الخليج، القسم التاريخي والجغرافي، ترجمة (مكتب حاكم قطر)، 14 مجلداً، الدوحة، مكتب الديوان.
- ماكرو ، اريك ، (1987)، اليمن والغرب، ترجمة : أ.د. حسين عبدالله العمري، ط٢، دمشق، دار الفكر.
- المهيري، فاطمة سهيل. (1991)، النشاط التجاري العربي في الخليج في القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان.

المراجع الأجنبية

- Amin, A (1987), dirasat fi alnashat altijarii walsiyasii al'uwrubiyi fi asia 1600-1800, Amman. Aljamieat alardnia.
- Aronson, M, Budhos. M ,(2010). Sugar Changed the World: A Story of Magic, Spice, Slavery, Freedom, and Science, Carion Books
- Banikar, k., (1962), Asia walsaytarat algharbiatu, tarjamat Abdel Aziz Tawfiq Javid, Cairo, Dar Al Maaref.
- Birin .J (1963), Aktishaf jazirat alearbi, tarjamat Qadri qileiji, taqdim Sheikh Hamad Al-Jasser, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi..
- Boxer K., (1964), 'Imbiraturiat hulanda albahriat 1600-1800, tarjamat shawqi jalal, manshurat almujaamae althaqafii, Abu Dhabi, 1st.
- Bruce, J, (1968); Annals of the East India Company, 1600-1797-8, (Germany).
- Chardin,J, (1927); Travels in Persia, (London).
- Chaudhuri, K. N.(1976); The Trading World of Asia and the English East India Company 1600-1760, London.

- Chaudhuri, K. N.(1978); The Encyclopedia of Islam New Edition, (Kahwa), Leiden. E.J. Brill.
- Foster, W, The English Factories in India 1618-1668, (13 vols).
- Fryer, J, (1812); A New Account of East India and Persia 1672-1681, London.
- Furber, H, (1976); Rival Empire of Trade in the Orient 1600-1800, Oxford .
- Glamann, K (1958); Rise of Portugewe Power in India 1407-1550, (London).
- Great Britain, India Office, Marine Records, vol. 891, (15 August 1792).
- AL- khatabi. A. (2004), Tijarat albini alyamani, (q 17-19), “dirasat tarikhiatun, risalat majistir ghayr manshurat ,jamieat sanea'a, kuliyyat aladab , qism altaarikhi.
- Lorimar.G.G,(1967), Dalil Alkhaliji, Alqism altaarikhiu waljughrafiu, tarjama (maktab hakim qatr), 14 mjldaan, aldawhat, maktab aldiywan.
- Macro , A , (1987), Alyaman walgharb , tarjamat : 'a.d. husayn eabdallah aleumari , t 2, dimashq , dar alfikr.
- AL-Muhiri , F.(1991), Alnashat Altijariu Alearabiu fi Alkhalij fi alqarn Althaamin Eashr, risalat majistir ghayr manshurat muqadimat 'iilaa kuliyyat aladab, aljamieat al'urduniyati, Amman.
- Neibuhr, C. (1792); Travels through Arabia and Other Countries in the East, translated by Rupert Heren, Edinburgh.
- Othman, A. (2021), Alwujud alhulandiu fi albahr al'ahmar 1602-1815, majalat alqalzam lildirasat altaarikhiat walhadariati, muj7
- Regarding the East India Company's Connections with the Persian Gulf, With Summary of Events, 1600-1800, (Archives Editions).
- Saldanha,J.A(1986);Selections From State Papers, Bombay,
- Sloot, B. C. (1993); Arabs of the Gulf 1602-1784, translated by Aida Khoury, The Cultural Foundation in Abu Dhabi, 2nd Edition.
- Sloot, B. C. The Dutch on the coast of the Arabian Peninsula, The Hague, Dutch Ministry of Foreign Affairs. Within the book Holland and the Arab world.
- Steensgard, N, (1974), The Asian Trade Revolution of the Seventeenth century, London.

- Tavernier, J. B, (1944), aleiraq fi alqarn alsaabie eashr, naqlah 'iilaa alearabiat waealaq hawashih bashar Fransis wayaequb sarkis, matbaeat almaearifi, baghdad.
- Woodruff, W,(1966) ; Impact of Western Man, London.
- zaki, A, (1970), Albinn walqahwat washarabihu, majalat alearabii, aleudadi 144, nufimbir.